التنظيم العملياتي للنشاط الفدائي والعسكري بالولاية الرابعة

معركة دار السيوف نموذجا (أفريل 1958م).

د. سعيد عيادي

قسم علم الاجتماع والديمغرافيا/ جامعة سعد دحلب -البليدة

ـ الملخص:

تعتبر معركة واد السيوف ـ تازة ترولار، من بين أشهر المعارك التي عرفتها المنطقة الثالثة من الولاية الرابعة في شهر أفريل 1958م، والتي خاضها المجاهدون بأهداف عسكرية دقيقة، قصد تطهير المنطقة الثالثة من الفروع العسكرية الخائنة التي نصبتها قيادة الفيلق الثالث للمظليين الفرنسيين، وقد ساهمت هذه المعركة في تمكين مجاهدي الولاية الرابعة من تكسير العمل المعادي لثورة التي كانت تقوم به الجماعات المسلحة التابعة للجنرالين الخائنين الجيلالي بلحاج وبلونيس.

تأتي أهمية المعركة من الناحية العسكرية والأمنية، من حيث أنها نجحت في تمرير رسائل إلى مختلف القيادات الفرنسية العسكرية التي تجندت لشن حروب استنزاف ضد مجاهدي الولاية الرابعة، فعلى الرغم من اختلال ميزان القوى بين الطرفين، إلا أن القوة النفسية والمعنوية لمجاهدي الولاية، قادتهم إلى إحداث تغييرات في استراتيجية الحرب رغم أنف هذه القيادات.

ـ مقدمة:

تنطوي الأحداث التي سبقت والتي تلت معركة دار السيوف ـ تازة تزولار الشهيرة أفريل سنة 1958م على عبر دلالات ودروس عسكرية وأمنية وجغرافية كثيرة، وتتنوع هذه الدلالات بحسب المعطيات السياسية والعسكرية والأمنية لتلك الفترة ويمكن تحديدها على عدة مستويات، فمعطيات التوقيت والتجنيد ونوع الفرق المشاركة والمكان والتخطيط للاشتباك والانسحاب، كلها معطيات تسمح لنا اليوم بمقاربتها مقاربة علمية وتقنية من أجل الوقوف على كامل المعطيات المتعلقة بالتنظيم العملياتي للعمل المسلّح الذي قادته فرق وأفواج المجاهدين بالولاية الرابعة، فالمعركة اتخذت من دوّارين متجاورين رحى المواجهة العسكرية المسلحة بين الطرفين.

معركة دار السيوف ـ تازة تزولار جرت ميدانيا في المنطقة الثالثة من الولاية الرابعة، وهذه الناحية كما نعرف إلى جانب حيويتها العسكرية والأمنية، كانت ممرا للعبور والتنقل، وخاصة أنها تربط الخط مباشرة بمنطقة أغريب بالولاية الثالثة، ولذلك أعطت قيادة الولاية الرابعة أهمية خاصة لهذه المنطقة، حيث وفرت لها قيادات عسكرية متميزة كان من بينهم: الشهيد سي امحمد رايس من جليدة، عمر رمضان، بشير رويس، سليمان الغول، كومندو سي جمال، وذلك بما يتماشى مع الأهداف العسكرية والسياسية التي ضبطتها القيادات العليا في الجبهة وجيش التحرير، وقد تولّى احسن

بومالي التطرّق بالتفصيل إلى مختلف جوانب هذه الاستراتيجية عسكريا وسياسيا وأمنيا [1]

كما كانت تتوفر على عناصر متمكنة وخبيرة في العمل الاستعلاماتي وفي تقنيات الربط والاتصال من أبرزهم: سي البغدادي (الشهيد أحمد عليلي استشهد يوم 28 أوت 1958م وكان من المشاركين في معركة دار السيوف) والذي كان أول نقيب سياسي ـ عسكري بالمنطقة الثالثة (الونشريس ـ زكار) وكان يحيط إحاطة وافية بمعطيات المنطقة لكونه من مواليد دوّار بني غمريان (المخاطرية حاليا)، الملازم مختار، الدكتور بكير كدي، لوصيف جندل وقد عمل في المنطقة الثالثة من الولاية الرابعة منذ التحاقه بصفوف الثورة يوم 1956/01/03م إلى غاية 1962م، وقام خلالها بعدة مهام جليلة، كما لا ننسى هنا الإشارة إلى أن الشهيدة نسيبة مالكي المعروفة باسم شفيقة كانت قد سقطت في ميدان الشرف سنة 1959م في المنطقة الثالثة من الولاية الرابعة وكان عمرها آنذاك 19 سنة [2]، وما إلى ذلك من المجاهدين والشهداء البواسل.

ـ السياق العسكري والسياسي لمعركة واد السيوف:

العملية العسكرية التي تضمنتها معركة دوار السيوف في أفريل 1958م كانت من حيث الأبعاد السياسية والتنظيمية والحركية، استجابة للتحوّلات والمواقف الإيجابية التي عبّرت عنها القيادات السامية للجبهة ولجيش التحرير الوطني، فقد أشار فرحات عباس في

كتابه " تشريح حرب "، أن التفكير في إنشاء قيادة العمليات العسكرية قد تمخض مباشرة بعد إعلان الثورة سنة 1954م، ثم عرفت هذه القيادات أن تشكيل هذه القيادة أمر لا مفر منه، وعليه فقد بادر كريم بلقاسم يوم 1958/04/10م بالدعوة إلى تكريس الفكرة على أرض الواقع.

لاقت دعوة كريم بلقاسم استجابة فورية وتوافقا سياسيا وعسكريا، حيث قامت لجنة التنسيق والتنفيذ في إطار تجسيد الفكرة بترقية مجموعة الضباط السامين إلى رتبة عقداء، وكان من الذين استفادوا من هذه الترقية محمد العموري، عمار بوقلاز، سي الحواس، عميروش، مصطفى بن عودة، هواري بومدين، علي كافي، وفي ضوء ذلك تم تكليف أغلبهم بمناصب قيادية عليا على مستوى الولايات، تقوم على صلاحيات ومهام في إطار قيادة العمليات العسكرية (C.O .M) شرقا وغربا، شمالا وجنوبا [3].

من جهة أخرى يرجّح محمد حربي رأيا آخرا قائلا أن ميلاد وانتشار فكرة قيادة العمليات العسكرية كان بفضل تلك المقاربات الجريئة التي قدّمها الثلاثي: أحمد بن بلة ومحمد بوضياف وعلي محساس مع مطلع سنة 1956م ، ولم يشر إطلاقا إلى كريم بلقاسم، ويذهب في ذلك عكس مذهب فرحات عباس، والواقع أنه لا يهمنا كثيرا من هو أو من هم أصحاب هذه الفكرة، بقدر ما وددنا أن نشير

إلى أن العمل العسكري في الجزائر قد تنظم كثيرا وشهد عمليات وكمائن عسكرية نوعية وعلى مستوى عال من الدقة. (4)

كانت الولاية الرابعة من أكثر الولايات التي شهدت مواجهات عنيفة بين المجاهدين ومختلف المفارز العسكرية الفرنسية المتمركزة في العديد من محاورها وعلى رأس ذلك البليدة وخميس مليانة وشرشال وقوراية، حيث وبالإضافة إلى التواجد المكثف لأحسن عناصر الفيلق الفرنسي الثالث للمظليين (3ème R.P.M.I.A)، والمتحرك باستمرار عبر مختلف مناطق ونواحي هذه الولاية، كانت كذلك تشهد وجودا مكثفا لوحدات قتالية فرنسية أخرى لا تقل شراسة وتنكيلا من هذا الفيلق، وهي مدربة تدريبا عسكريا يتكيف فيها تدخلها للقتال في المدن وفي المناطق الجبلية، بحسب تضاريس هذه الولاية وبحسب تنوع سلاسلها الجبلية وأراضيها، ومن بين هذه الفيالق الأخرى الفيلق 29 للقناصة.

العناصر المنتمية إليه هي على نفس وتيرة استعداد الفيلق الأول، وقد كانت وحدة هذا الفيلق تضم 850 عنصرا مقاتلا من النخبة المدربة والمسلحة بمن فيهم المجندين الأجانب، وكان من بين نخبة هذه المجموعة المقاتلة الكثير من العملاء الجزائريين الذي انضموا إليه ويعرفون المنطقة معرفة جيدة، وسبق للفيلق ولهم خوض معارك ومواجهات عديدة في كل المناطق الأربعة التي تضمها الولاية الرابعة، وهي على التوالي: المنطقة الأولى وتضم مدينة باليسترو ـ الأخضرية

حاليا وضواحيها، أما المنطقة الثانية فتشمل البليدة بكاملها، والمنطقة الثالثة تضمّ الخط الممتد من جبال الونشريس إلى جبال زكار.

كما كانت هذه الولاية تعرف تواجدا كثيفا لأحسن عناصر النخبة المقاتلة التي يتشكل منها الفيلق الخاص بالعقيد شارل بيجار، والذي كان يسمّى الكومندو الأسود للمظليين، والذي أعطى لنفسه تصورا مرعبا ومخيفا لدى السكان، ويوجد في سجله العديد من الهجمات والاشتباكات مع مجاهدي هذه الولاية، وقد سبق لعناصر هذا الفيلق الإجرامي الدخول في اشتباكات عنيفة من عناصر الكومندو سي الزوبير التابع لكتيبة الحمدانية (استشهد سي الزوبير (الشهيد الطيب سليمان محمد) في دوار سباغنيية يوم 1957/02/22م في اشتباك مع عناصر هذا الفيلق الأسود)

تجدر الإشارة هنا إلى أن القوات الفرنسية شاركت في كثير من معارك الولاية الرابعة باستخدام كل أنواع الطائرات التي يتوفر عليها أسطولها العسكري الجوي، وبما كانت قد هيّلته وبنته من مطارات عسكرية ومن منصات الانطلاق الكثيرة الخاصة بطائرات الهيليكوبتر أو الطائرات المستخدمة في الاستعلامات والتجسس عن طريق الجو، فلم تكن تخلو معركة من المعارك التي تدخلها باستخدامها لأسراب متنوعة من طائرات هذا الأسطول، وهو ما جعل

قيادة المجاهدين تضع في حسبانها عند تخطيطها لعملياتها العسكرية وجود مثل هذا الغطاء العسكري الجوي المستعد للتدخل الفوري.

ارتفاع العمليات العسكرية خلق هاجسا لدى القيادة العسكرية الفرنسية، التي صارت تميل إلى حسم معاركها عن طريق الجو، وتفادي المواجهات البرية، بالنظر إلى تنوع الغطاء التضاريسي بالولاية.، الشيء الذي جعل الطرفين ينظران إلى الغطاء الجوي نظرتين مختلفين ضمن إستراتيجية المواجهة، فما تتوجس منه القيادة الفرنسية تحبذه القيادة الجزائرية، وما تراه من عامل حاسم للمعركة لدى الطرف الفرنسي، يعتبره الطرف الجزائري فضاءً إضافيا للمناورة وللكر والفر الذي ينهك هذه القوات الفرنسية ميدانيا، وسرعان ما نمت عقيدة الهاجس العسكري الجوي للقوات الفرنسية مع مرور سنوات الثورة، فاتساعها وامتدادها صار يفرض تكاليف كبيرة وإنفاق متواصل على القوات البرية التي لم تعد قادرة على تغطية كل المساحات، وقد ركّز الباحث الإنجليزي هورن آليستار Horne (Alistair)على خلفيات نشوء هذه العقيدة الجديدة وطبيعة المتاعب التي ألحقتها بالقيادة الفرنسية، والتي كانت وراء ارتفاع اعتمادات الحرب في الجزائر [5].

ـ المعطيات الميدانية الأولية عن الدوارين:

هكذا أخذت معركة دار السيوف لاحقا اسم الدوارين معا، دار السيوف من جهة وتازة ترولار من ناحية، وفي يومنا هذا صارت المنطقة

التي تضم هذين الدوارين اسم برج الأمير عبد القادر، وكانت المسؤولية المباشرة على هذه المعركة تقع على كاهل سي العربي قائد الكتيبة ومسئول منطقة ثنية الحد، من بداية التدبير لها وحتى البدء في الانسحاب من ساحتها بعد منتصف الليل، ولهذا بادر قائد الكتيبة سي العربي من البداية التفكير في كيفيات توفير خطوط التموين وخطوط الاتصال وقواعد الامتداد والانسحاب، لكون أن هذه الجماعات المسلحة تحظى برعاية دقيقة وموسعة من قبل قيادة الفيلق الثالث للمظليين الفرنسيين، ولهذا قررت قيادة الولاية الرابعة توفير ذلك باستعجال من خلال خط تكتيكي حيوي يربط مباشرة بين خميس مليانة وثنية الحد.

هذا الخط يمر بمحاذاة قرية الجنرال قورو، وتم أخذ كل الاحتياطات الإضافية في حال مواجهة أو وجود صعوبات في جعل هذا الخط آمن ومؤمن للمجاهدين وللوسائل المختلفة التي ستستخدم في هذه المعركة الحاسمة، فالمواجهة العملياتية كانت من الناحية العملية قد بدأت في حدود على السادسة مساءً، واستمرت متواصلة إلى غاية الانتهاء منها في حدود منتصف الليل، وقد أسفرت عن إلحاق خسائر في قوات وجماعات الجنرال محمد بلونيس خسائر كبيرة، لكن مع ذلك لم يتحقق الهدف الأساسي الذي سطّرته قيادة الولاية الرابعة لهذه المعركة، وهو قتل أو إلقاء القبض على قيادة الجنرال محمد بلونيس

التي أقامت مركزها تلك الليلة بهذين الدوارين، وعلى رأسهم الدموي الكبير المقدّم سليمان بوحمارة [6].

لعلّ من أكبر الاحتمالات التي كانت قيادة الولاية الرابعة تتمنى عدم وقوعها في هذه المعركة بالذات، هو أن تصل إلى تكسير العمق الحركي والقتالي في جماعات الجنرال محمد بلونيس وشلّ كل خطوطهم الخلفية وجيوب الإمداد البشرية والعسكرية، فالخطة كانت تقضي بشن هجومات مباغتة، عنيفة وكثيفة لا تسمح باسترجاع الأنفاس ولا بمراجعة المواقع، مع العمل على غلق محكم لكل المنافذ التي بالإمكان أن تستخدم للفرار أو الانسحاب أو الفلتان من القبضة التطويقية لمختلف الأفواج والفروع المكلفة بذلك.

كانت الخطة تقضي بقطع خطوط الإمداد الخلفية وخاصّة من بعض الدواوير القريبة من ميدان المعركة، مع الاجتهاد قدر الإمكان بشل خطوط الاتصالات بقيادة المظليين تفاديا لأي هجوم جوي يفسد الخطة من الأساس، ولكن القيادة العسكرية الحكيمة للمعركة تمكنت من تحقيق كل ما رسمته تكتيكيا، ولكن من دون أن تصل في نهايتها إلى المساس بالرؤوس القيادية للجنرال محمد بلونيس والمتواجدة بميدان المعركة.

لهذا عمّت علامات الحسرة والقلق وجوه قيادة الكتيبة المكلفة بهذا الهجوم على الخصوص وبقية أفرادها المقاتلين، نتيجة عدم التوصّل في نهاية المعركة وبعد مواجهة حامية وفّت بكل وعودها

واستمرت ست ساعات كاملة، إلى إلقاء القبض على قيادات جماعات الجنرال محمد بلونيس المسلحة أو قتلهم وإنهاء خطورتهم الميدانية تقريبا من ولاية عين الدفلة وإلى غاية مدينة آفلو، فالاحتمال التكتيكي لنهايات المعركة غير المرغوب فيها، ستوجّه اهتمامات القيادة إلى اعتماد تقنيات جديدة في الاتصال والتجنيد والتنقل والتمركز والنشاط ضمن الخطوط التي سبق وأن عرفت بعض الخلل في تحقيق الأهداف، والقيادة نفسها تشعر أن تباطؤا بسيطا في تنفيذ الإجراءات التكتيكية المتفق عليها قبل بدء الهجوم قد تكون من أسباب عدم الوصول إلى تطويق قيادة الجنرال محمد بلونيس في مخابئها.

- أخطاء أولية في تكتيكات التموقع:

مما برز للقيادة من أخطاء تكتيكية في هذا الشأن، هي المسافة التي كانت تفصل بين المرشد المدني الذي يملك كل المعلومات الميدانية عن العدو، وبين قائد كتيبة المجاهدين، فالمرشد المدني كان يسبق قائد الكتيبة نحو الأمام بمسافة تقدر بحوالي 60 متر، وهذا التقدم جعل قائد الكتيبة يقع في غفلة عن تقدير المسافات وتحيين المواقع، وهو الأمر الذي جعل المرشد المدني يبتعد بقائد الكتيبة وبقية الجنود عن المواقع المستهدفة بحوالي 100 متر كاملة، وهو ما يعني في التقدير العسكري الميداني، إعطاء فرصة للعدو بإيجاد حلول للخروج من الطوق وتحقيق انسحابات وحماية قيادته من

القتل أو الأسر، لأنه لم يكن هو الطرف الذي بادر بالتخطيط للمعركة وتدبير هذا الهجوم، وهو ما حصل في النهاية بالفعل.

جانب تحديد مسافات التحرّك والتموقع وتحديد المخابئ والأماكن الحيوية في هذه المعركة، كان مؤثرا وحاسما كما رأينا في هذا المثال، كان طرفا في هذه المشكلة، أما الطرف الآخر منها فيتعلق بمستوى التنسيق والتواصل قبل وأثناء المعركة بين مختلف الأفواج والفروع المشاركة وكذلك مستوى تنسيقها كفروع مقاتلة برئيس فرع المسبلين ومن بينهم الشخص الذي عيّنوه مرشدا مدنيا يتحرك بجانب قائد الكتيبة في كامل المنطقة التي شهدت مختلف أطوار المعركة.

أما الإطار الثالث لهذا التنسيق يخص بنفس الدرجة من المسؤولية هذه الأطراف بقائد الكتيبة، لأن التنسيق بين هؤلاء جميعا يؤدي حتما إلى تحديد أعداد العدو قيادة وجنودا وتحديد تجهيزاته وعتاده وتموقعه ومدة إقامته وخطوط تحرّكه ومستوى التأمين فيها وإمكانياته الاتصالية وقدرته الردعية ودرجة الاستعداد لديه في الصمود أثناء المواجهة المسلحة ونوع الأسلحة التي يحملها، فالحقيقة تؤكد أن العمل التنسيق كشف عن المواقع والأماكن بدقة كبيرة ومتناهية، لكن عملية التطويق وغلق المنافذ قد منيت بالفشل، مما سمح للقيادة بالإفلات وبقاء الجنود وسط المعركة يواجهون مصيرهم المحتوم .

المجتمعون في ناحية ثنية الحد والقائمين على تقدير وتقييم سير المعركة، كانوا قد اتفقوا بالأغلبية، أن نجاة المقدم سليمان بوحمارة من الموت آو الأسر، يلزم جميع القادة التكثيف من الاتصالات وتفعيل دور المخبرين السريين من أجل التشريع بوضع خطة للانتهاء منه بكل الوسائل والطرق الممكنة عسكرية آو غير عسكرية، فاستمراره حيا نشطت وقائدا لجماعات مسلحة هو مشكلة عويصة بالنسبة لقيادة الولاية الرابعة، وبدا لها أن التخطيط المسبق لهذه المعركة لم يعط لأحد عواملها الهامة والحاسمة ثقلا :

ميدان المعركة مكشوف أمنيا، ذلك أن القيادة لا تتوفر هناك على ضباط ربط واتصال ولا على مسبلين ولا مخبرين سريين، مما يجعل العملية بمحفوفة ببعض المشاكل ذات الطابع الاتصالي، وهو ما رأته القيادة قد حصل بالفعل، وهو التصوّر بأنه كان ممكنا، وكان من جوانب إغفال أهمية هذا العامل، أن العملية تم الشروع فيها دون أن تبادر قيادة الكتيبة بتنظيم اجتماعا تنسيقيا قبل البدء بالهجوم يجمع كل جنود الكتيبة المبرمجين للقتال وكل قادة الفروع القتالية وكل قادة الأفواج، بمن فيهم قائد فرع المسبلين، حتى يكونوا على علم مسبق بتفاصيل خطة العملية والهجوم المرتقب.

كان من الضروري كذلك احترام إجراءات وضوابط التنظيم العملياتي، وذلك بإشراك المرشد المدني الذي سيرافق قائد الكتيبة، خلال هذا الاجتماع وإتاحة الفرصة له لتقديم تقرير مفصّل أمام جميع

الحاضرين، يشرح فيه كل تفاصيل المعطيات الخاصّة بالدوار وبالجماعة المسلحة المتواجدة به بقيادة المقدم سليمان بوحمارة، وتحديد الأماكن والمخابئ التي يتواجدون بها بدقة كبيرة، لتكون هدفا رئيسيا أثناء الهجوم، بغلق منافذها وتطويقها ومنع من بداخلها من الإفلات، ومثل هذا الاجتماع التقني والعسكري لو حصل قبل المعركة لكان بالإمكان أن يحسمها حسما نافذا بإحداث تطويق قاتل لن ينال النجاة منه أي جندي من جنود فرقة المقدم سليمان بوحمارة، ومن الأمور التي كان بالإمكان أن تحقق هذا النصر الكاسح ما يلي:

1 ـ تمكن القيادة من ضبط وتحديد جميع المسافات التي تفصل بين مخابئ هؤلاء الجنود من مركز الدوّار

2 ـ بناءً على تحديد هذه المسافات كان بالإمكان كذلك تحديد جميع التموقعات الاستراتيجية للمجاهدين، التي ستسمح لهم بالهجوم على هؤلاء الجنود في مخابئهم بعملية عسكرية مباغتة لا تبقي منهم أحدا ولا تذر لهم فرصة للفرار.

3 ـ كان يجب إحداث توزيع موقعي ـ كمائني للمجاهدين، مناسب للانقضاض على المنسحبين والفارين من رحى المعركة، ويكون هذا التوزيع مرتبطا بتحديد صارم لساعة البدء بالهجوم، حيث عليهم الانطلاق في الهجوم وفق توقيت واحد ومن كل الجهات وباستعمال كل الأسلحة المبرمجة.

4 ـ كان من الضروري أمنيا التأكد مسبقا من حالة وطبيعة تواجد الكلاب بالدوار، والخطأ المرتكب هنا أنه وعلى الرغم من عدم وجود محافظين سياسيين به وعلى الرغم من عدم وجود مخبرين سريين، تم برمجة الهجوم دون أخذ الاحتياطات، إذ كان من الضروري قتل كل الكلاب، وهذا الإجراء لم يتم التنبيه عليه ولا تنفيذه، فقد حال نباح الكلاب دون إكمال التطويق بنجاح، فقد انتبه جنود الجنرال محمد بلونيس أن الأمر يتعلق بوجود هجوم للمجاهدين، فتمكن البعض منهم من إيجاد ثغرات كثيرة للانسحاب من أرض المعركة، وهكذا نجي قيادتهم من حصار كان سيقضي عليهم جميعا.

ـ ظروف الانسحاب في بيئة غير مغطاة أمنيا:

حالات الخلل التي حصلت في هذه المعركة، أثّرت بدورها في التوقيت الخاص بالانسحاب بعد انتهاء المعركة، خاصّة بعد نجاة القيادة من الأسر والقتل وإمكانية استغلال إنفلاتها من ميدان المعركة للاتصال بالجنرال محمد بلونيس وبقية جنوده أو الاتصال بقيادة المظليين الفرنسيين، وطلب النجدة الميدانية والتغطية الجوية، مما يمكن أن يؤدي إلى إلحاق ضربات فورية بالمجاهدين، إن جزءا من هذه التوقعات قد حصلت أيضا، فقد طلب قائد الكتيبة سي العربي من جنوده الانسحاب فورا وبسرعة كبيرة ودون توقف، ورسم خط الانسحاب بالاتجاه نحو جبال عمرونة.

هذا الانسحاب وبهذه الطريقة سبّب متاعب ومشاكل صحية لبعض المجاهدين، فقد ظلوا ينسحبون بسرعة ومشيا على الأقدام على مسافة كيلومتر ونيف وابتعدوا حد المسافة الذي يؤمن لهم الحماية من الضربات المرتدة في جنح الليل، وبعد استراحة قليلة، طلب قائد الكتيبة من جنوده التهيؤ من جديد لمواصلة الانسحاب والاجتهاد للوصول إلى مطماطة بمنطقة زمورة وهي من ضواحي جبال عمرونة قبل الساعة الخامسة فجرا، وهو ما يعني من الناحية الإستراتيجية الاقتراب إلى التأمين الكامل للمجموعة بالدخول نهائيا إلى ناحية ثنية الحد، حيث توجد قيادة المنطقة تحت إمرة سي بوشوشي، وهي مسافة تتطلب أيضا انسحابا سريعا بالنظر إلى الزمن المتبقي سيرا في الليل، وبالنظر إلى المتاعب الكبيرة التي تعاني منها المجموعة قبل وأثناء وبعد المعركة، والإسراع كذلك بإيصال الجرحى إلى العيادات المتواجدة بمنطقة ثنية الحد وتوفير الرعاية الصحية اللازمة لهم.

لذلك فإن الانسحاب الناجح والوصول بسلام إلى ناحية ثنية الحد، عجّل في اليوم الموالي من الوصول عقد اجتماع طارئ بين القيادة التي خاضت المعركة وبعض القيادات التي كانت في انتظارهم هناك، ومن أبرز القيادات التي شاركت في الاجتماع لتقييم هذه العملية العسكرية قائد منطقة ثنية الحد سي بوشوشي والمقدّم سي عبد الرحمن مقلاتي وهو من قصر البخاري والنقيب سي عبد الرحمن حمودة شايد وكلاهما ينشطان في الولاية السادسة جنوب الصحراء،

وتقدير الانعكاسات الأمنية والعسكرية لفترة ما بعد المعركة، والإجراءات الاستثنائية والقمعية التي ستبادر قيادة المظليين باتخاذها بحثا عن شرفها الضائع بعد هذه العملية التي نجح المجاهدون من خلالها في شل جزء مهم من مخطط المسح المتعامد المتجانس شمال ـ جنوب، وأتاحوا لأنفسهم فرصة إعادة الانتشار في هذه المناطق الحسّاسة، والتي تمثل ممرا حيويا بين الشمال والجنوب، لقطع الصلات بين الولايات.

وصل الجميع إلى مطماطة في حدود الساعة الخامسة فجرا، وبوصولهم تأكّدوا بأنفسهم أن قيادات الجنرال محمد بلونيس المنهزمة قد قامت فعلا بالاتصال طالبة النجدة، فتحرك الطيران الحربي الفرنسي وبدأ بقصف المناطق المشبوهة قصفا عنيفا، وبدأت قواته والجماعات المسلحة للجنرال محمد بلونيس بتمشيط المنطقة وكانوا في طريقهم ينكلون بالأهالي وينتقمون منهم ويعبثون بممتلكاتهم وخيراتهم، ووصل قصف الطيران حتى منطقة ثنية الحد، وتبين الجميع من طبيعة رد الفعل العنيف للجماعات المنهزمة، واعتبرت قيادة المظليين الفرنسيين أن ما حصل هو اختراق فعلي لأساسات هذا الخط وضرب قوي لإستراتيجيتها القائمة خلق جيوب فاصلة ومتينة القطع بين المناطق، بناءً على خط المسح المتعامد المتجانس الذي أقامته تقريبا من عين الدفلة وحتى مدينة آفلو بين الأغواط وتبارت.

بعد العودة من المعركة وتأمين انسحاب جميع من شاركوا فيها قبل بزوغ الفجر، استعجل قائد الكتيبة سي العربي والذي كان بدوره منهكا وخائر القوى لكونه كان يحمل رشاشا ألمانيا ثقيلا(MG 42)، استحضار عناصر السلك الطبي المتواجدين بالقرب منهم لمعاينة الإصابات الموجودة في وسط المجاهدين، وكان سبب استعجال قائد الكتيبة يرجع أساسا إلى كون أن العيادة الجهوية للمجاهدين التي كان سيقصدها بهذه الناحية، قد طوقتها ألسنة النيران الملتهبة، وآتت على كثير من أجهزتها ووسائلها الطبية والصيدلانية.

كان القائد يخشى أن يكون مصير جرحى هذه المعركة كمصير جرحى ناحية منطقة زكار ومسكر في السنة السابقة، الذين انتبه العدو إلى مكان تواجدهم للعلاج، فطوقهم وحاصرهم، وتمكن من قتل من شاء منهم، وأسر من شاء أن يأسر منهم، فكان العقيد سي حسان (يوسف الخطيب) من العقداء الأطباء الذي التحقوا فور سماعهم النداء الاستعجالي بعناصر وأفراد الكتيبة المشاركة في المعركة، بعد انسحابهم واستقرارهم في ناحية ثنية الحد منهوكي القوى، بعد قتال عنيف ومسيرة ليلية طويلة.

كما كانت هناك مؤشرات على الميدان تدفعه للبحث عن التحصين والتمويه، فالغدو بدأ باستخدام كثيف لطائرات الاستطلاع المعروفة باسم لامورال (Lamoral)، لتحديد مواقع الانسحاب

والتمركز الجديدة، وهي طائرات مقلقة، كان المجاهدون والشعب الجزائري يطلقون عليها اسم لاموشار (La Mouchard)، وكانت طائرات مقنبلة على غرار طائرات سيورسكي (Sikorsky)، قد وصلت بقصفها العشوائي .والاستفزازي للمناطق المشبوهة إلى حدود ناحية ثنية الحد.

ـ هاجس البحث عن المقدم سليمان بوحمارة ومساعديه:

هذه الحالة العسكرية والأمنية الجديدة الناجمة عن ماجريات المعركة وحوادثها عدّتها القيادة خللا تقنيا في التنظيم العملياتي لإدارة معركة على مستوى عال من الدقة والخطورة والأثر الميداني، فهي في نظرها ستخلق صعوبات عسكرية وأمنية لاحقة في طريقة ونوع الاتصالات وفي تحرّكات الجنود وفي تمركزهم وفيما يتعلق بأسلوب التجنيد وتفعيل العمل الفدائي بين المسبلين والجنود، حيث أن عدد الإصابات الكبير في صفوف جنودها بين قتيل وجريح، بالإضافة إلى أعداد الأسرى التي وقعت بين أيدي مجاهدي الكتيبة وقطع الأسلحة التي تم الاستيلاء عليها، من دون القضاء على القيادة هو بحد ذاته يشكّل مشكلة تكتيكية وعسكرية.

المشكلة هذه تكمن في كونها ستجرّ القيادة الدّموية لجماعات الجنرال محمد بلونيس تحت إمرة المقدم سليمان بوحمارة إلى شن عمليات انتقام وإبادة كبيرة وشنيعة بمساعدة وتدعيم تقني ومادي من قبل المظليين الفرنسيين، وسيدفع الأهالي الفقراء وسكان القرى

والدواوير والمداشر والذين سيكونون جميعا مصدر شك وتصفية حسابات، ثمن رعونة هذه القيادة ووحشيتها، والتي هي ناجمة عن شعورها الدفين بأثر الهزيمة المرة وغير المتوقعة، حيث شاهدوا بأعينهم كيف ألحقت بهم كتيبة سي العربي ضربات في العمق ورأوا جنودهم يتهاوون قتلى أو يقعون أسارى.

لقد وقع الانسحاب فعلا من المعركة، انسحب المنهزم وانسحب المنتصر، لكن خطط ما بعد الانسحاب ستترك الضغط على المنتصر أكثر مما تتركه على المنهزم، فالمنهزم راح يستنجد خائبا ببقايا جماعاته المسلحة وبقيادة المظليين، في حين أن انسحاب المجاهدين وهم الطرف المنتصر، جعله يشعر أكثر وأكثر بما ينتظره من عمل ومسؤوليات في هذه المنطقة بالذات، حيث سيتوجب عليه العمل على فرض نفسه ميدانيا وعسكريا.

على هذا الأساس أيضا وضع خطط تعبئة نفسية للسكان وخاصة سكان الدواوير والمشاتي، حتى لا يقعوا في شبكات الدعاية النفسية المغرضة التي سيتعرضون لها لاحقا بعد الانتقام منهم وترويعهم لقطع حبل الصلة بينهم وبين المجاهدين، وجعلهم يشعرون بمسؤولية كبيرة تجاه صولة وعنف قوات الاستعمار الفرنسي وعلى رأسهم الفيلق الثالث للمظليين الفرنسيين الرابض فوق صدورهم، وهو دفعهم للعمل من أجل حماية منطقتهم من حضور أو تواجد المجاهدين فيها، ومن أن لا تكون مستقبلا ميدانا لمعركة يخطط لها وينفذها جنود ومجاهدو

الولاية الرابعة، وبالتالي تحويلهم إلى وشاة ومخبرين ينبهون عن أي تحرك أو تنقل للمجاهدين في المنطقة، خوفا من الانتقام والترويع الذي يكون دوما نتيجة حتمية بعد كل معركة أو كمين ينفذه المجاهدون..

نجاة هذه القيادة وفرارها المبكر من المعركة وحرصها على العودة إلى ميدان المواجهة العسكرية من جديد، سيجعل من العمل الاستعلاماتي بين الطرفين يمضي هذه المرّة على أشدّه، خاصة من جانب عناصر جيش التحرير الوطني، لأن عملها الاستعلاماتي يرمي من جهة إلى حماية المواطنين والسكان من حملات الانتقام والنكاية بالمستضعفين، ويرمي من ناحية ثانية إلى تأمين تحركات وتنقلات المجاهدين عبر مثل هذه الخطوط التي تشهد تواجدا مكثفا للقوات الفرنسية وعملائهم.

ذلك أن الأوضاع السياسية والعسكرية والتكتيكية الجديدة ستلزم كل طرف بالبحث عن أوفق الوسائل التي تمكّنه من تحقيق الحسم السريع والاستثمار الناجح في نتائج المعركة، ويسعى بذلك إلى أن يفوّت على الطرف الآخر أي فرصة لتوظيف قدراته ومهاراته في حسن التعامل مع انعكاساتها سلبا أو إيجابا، الطرف المنتصر والطرف المنهزم، وما كانت القيادة تخشاه هو تمكن الطرف المنهزم في تحريك حمله دعائية قوية ضد المجاهدين قد تصل في النهاية إلى تحقيق بعض الأهداف المرغوب فيها، ومن بين هذه الأهداف الأشدّ

انتظارا التمكن من ضرب السكان بعضهم ببعض، وهو ما يعني تلغيم المنطقة وجعلها أكثر صعوبة أمام تحركات المجاهدين.

قيادة الفيلق الثالث المظليين الفرنسيين ستسعى جاهدة وفي أقرب الآجال توجيه ضربة سريعة وقاتلة للمجاهدين وللسكان لاسترجاع المعنويات الضائعة وامتلاك الثقة في النفس من جديد للتمكن من مواصلة الكر والفر وإبقاء مسلسل المطاردة متواصلا، والسماح لأنفسهم بمعاودة التموقع في الأماكن المرغوب فيها من قبل قيادة الولاية الرابعة باعتبارها مناطق حيوية في الحرب مع قوات المظليين الفرنسية.

لقد تم التفكير جديا في هذه المعركة، بعد أن قامت عناصر استعلامات كتيبة سي العربي بتقديم تقرير يؤكد بأن منطقة ثنية الحد تشهد تحركات غير عادية، وأن أعدادا مهمة من الجماعات المسلحة التابعة للجنرال محمد بلونيس يتحرك جزء منها نحو جبال عمرونة في حركة غير واضحة المعالم، وأن جزءا آخر منها قد نزل بكثافة المنطقة وقررت قيادته حسب التقرير اتخاذ مجموعة من المساكن والمخابئ مرتكزا لها في كل من دوار دار السيوف وتازة ترولار بتواجد قيادات كثيرة تحت إمرة المقدم سليمان بوحمارة، وهو شخصية دموية عنيفة ومعروفة في صفوف جماعات الجنرال محمد بلونيس بتعاملها الجهنمي مع المواطنين وبحقدها الكبير على المجاهدين والمسبلين، ويعد واحدا من بين أكثر وأكبر المطلوبين

بالتصفية الجسدية أو بإلقاء القبض عليه حيا وتقديمه إلى قيادة جبهة التحرير الوطني .

ـ القيادة العسكرية الفرنسية وتجنيد العملاء:

القيادة العسكرية الفرنسية رمت منذ بداية الحرب التحريرية بقوات ضخمة في الولاية الرابعة، نظرا لحساسية المنطقة عسكريان ولكونها منطقة عبور مهمة لمختلف الفرق العسكرية، وكذلك لاحتضانها نشاطات سياسية ومدنية كان لها ثقل ودور كبيرين في سير المعارك التي قادها المجاهدون في هذه الولاية، وترجع حساسية هذه المناطق التابعة لهذه الولاية إلى وجود جيوب كثيرة ونافذة لقوات عسكرية خائنة، تتوزع في مناطق تشكل خطرا كبيرا لمختلف الفرق والأفواج المتنقلة للمجاهدين، فالقيادة العسكرية والمخابراتية للفيلق الفرنسي الثالث للمظليين (3ème R.P.M.I.A)، كانت تشرف وتؤثر الآلاف من هؤلاء العسكريين الخونة الذين تربّصوا شرا بالثورة الجزائرية وسعوا لإخماد نار ووهج الثورة المسلحة، وتحت تحت ترفهم قيادات هؤلاء الخونة ومنهم بالخصوص:

1 ـ الجماعات المسلحة التابعة للجنرال محمد بلونيس، وهي من أكثر القوات العسكرية انتشارا وقمعا وإهانة للجزائريين، لها انتشار كبير في عدة ولايات وخاصة ولايات عين الدفلة، المدية، الجلفة، الأغواط، وكان من بين أكبر مراكز مركز دار الشيوخ بالجلفة،

2 ـ الجماعات المسلحة التابعة للباشاغا بوعلام، التي كانت ترتكز في النواحي الغربية على غرار جماعات الجنرال الجيلالي بلحاج المدعو كوبيس، إلا أن التباين في الأدوار ونقص عدد أفرادها مقارنة بجماعات الجنرال كوبيس، قلل من فضاء انتشارها العملياتي وكان نشاطها محلي، إذ كانت تتخذ من منطقة وادي الفضة (ex-Lamartine) مقرا عسكريا لها لمراقبة القرى القريبة منها، ولها في هذه المنطقة مراكز لتجمع قوتها، ومن بين هذه المراكز، المركز الكبير الذي تحتضنه قرية بني بودوان، والتي منها تتحرّك لمراقبة المداشر والقرى والدّواوير، فهو مركز تجمع عملياتي، كما أنه في نفس الوقت مركز للتعذيب والتنكيل والقتل، ويشهد حضورا مكثفا للضباط الفرنسيين.

3 ـ الجماعات المسلحة التابعة للجيلالي بلحاج، المدعو كوبيس، وهو الجنرال الذي كانت نهايته أليمة للغاية، حيث تعرّض للذبح من أقرب مساعديه ومستشاره العسكري، وهي العملية التي أضعفت ثم أنهت التواجد الهمجي لهذه الجماعات، إذ انتهت بانتهاء قائدها الدموي وبهذه الطريقة غير المتوقعة من جنوده، كما كانت ضربة موجعة أيضا لقيادة الفيلق الثالث للمظليين الذي فقد بموته قائدا مجرما، قام بأدوار دنيئة في مواجهة المجاهدين، وكان يطارد كتائبها النشطة في الناحية الغربية، كانت الجماعات المسلحة التابعة له تنتشر في خط يمتد من ضواحي وادي سوفاي، بومدفع، خميس مليانة، ثنية الحد،

عين دفلة، الشلف، وهو الخط الذي تتبادله رفقة الجماعات المسلحة التابعة للجنرال بلونيس في تنفيذ مسحها المتعامد المتجانس باتجاه الجنوب.

إن عناصر وأفراد الجماعات المسلحة التابعة للجنرال الخائن الجيلالي بلحاج المدعو كوبيس، كانت تشكل خطرا تقنيا واستراتيجيا سواء حينما كانت مباشرة تحت قيادة المظليين أو بعد انضمام بعض عناصرها إلى جيش التحرير الوطني وفق الشروط التي تم تقديمها لهم، فسيرتهم العسكرية فوضوية ودموية، يعوزهم الانضباط والالتزام بالجانب الأخلاقي في القتال وهو ما يتعارض ضمنيا مع لوائح قانون المجاهد الشريف، وكانت مشاكلهم بعد الالتحاق أكبر منها قبل الالتحاق.

لذا اضطرت قيادة الولاية الرابعة إلى تفريقهم عن بعضهم البعض وقطع التواصل بينهم وتوزيعهم على مختلف وحدات المنطقتين الثالثة والثانية بهذه الولاية، مع وضعهم تحت الانتباه والحذر المستمرين، ولم يكن يطلب منهم تنفيذ مهام وعمليات عسكرية خطرة حسب التقدير القتالي، حيث أن الخطأ التقديري مع أي واحد منهم سيضع المنطقة برمتها تحت خطر أمني وعسكري كبير، وسيعرّض حياة مدنيين ومسبلين وعسكريين إلى انكشاف أسرارهم أمام القوات الفرنسية، ما يعني أن قيادة الولاية الرابعة تجد نفسها في مواجهة مصير مجهول وتصبح مكشوفة أمام العدو وخاصة عناصره وأجهزته الاستعلاماتية.

لقد قام الشهيد المقدم سي محمد الجيلالي بونعامة (استشهد بالبليدة يوم 08 أوت 1961م) بدور متميز في اختراق وتشتيت وإفراغ جماعات الجنرال كوبيس من قوتها، وضبط قائمة شروط لمن يريد منهم الالتحاق بجيش التحرير الوطني، وبتتبع الطّريقة والصيغة التي تمت بها عملية الانضمام، فإننا نرى أن هذه الشروط ضمنت اختيار أحسن العناصر والآمان الحركي والعسكري والسرية في سير مختلف نشاطات المناطق وخاصّة المنطقة الثالثة، حيث تكللت عملية التحاق عناصر كوبيس بنجاح(7).

يعتبر هذا النجاح خطوة عسكرية كبيرة حققتها قيادة الولاية الرابعة لإفشال جهود جميع القيادات العسكرية الفرنسية المتواجدة على رأس الآلاف من قوتها المنتشرة عبر مختلف مناطق هذه الولاية، ومن الناحية الميدانية فلقد ساهمت حنكة وحصافة وذكاء قائد ناحية ثنية الحد الشهيد سي رشيد بوشوشي في الحد من همجية هذه الجماعات، مستعملا جميع الوسائل المتاحة لإفراغها من طاقتها الإجرامية، وخاصة من خلال معارك الاستنزاف التي خاضها ضدها في مختلف محاور المنطقة الثالثة، ومن خلال حفاظه على جهاز اتصالات ذكي قام بدوره بجهود كبيرة لإقناع بعض قياداته وعقداء الجنرال الجيلالي بلحاج (كوبيس) التخلي عن الأعمال الإجرامية التي يقومون بها ضد الشعب الجزائري.

ما إن التحق أتباع الجيلالي بلحاج بجيش التحرير الوطني حتى استرجعت جبهة التحرير الوطني أنفاسها بالمنطقة، ولم يبق أمامها سوى مشكل الحركة أتباع الباشاغا بوعلام، لكن نشاط هؤلاء كان منحصرا على قطاع وادي الفضة لامارتين سابقا، ولقد قام كومندو المنطقة الثالثة بقيادة سي محمد (الشهيد الجيلالي بونعامة) بمهاجمة المركز العسكري للباشاغا بوعلام بدوار بني بودوان في العديد من المرات.

بالإضافة إلى هذه الجماعات المسلحة التي تعمل على ترويع السكان والانتقام منهم، هناك الجموع الغفيرة الأخرى من المخبرين المنبثين والمنتشرين في كل مكان وزاوية للترصد وجمع المعلومات عن تحركات المجاهدين وقيادات جيش التحرير الوطني والقيادات المدنية الأخرى، الأمر الذي تطلب من قيادة الولاية الرابعة التركيز بالدرجة الأساسية على مجموعة من العناصر والمقومات التي تسمح لها بإحداث التوازنات المطلوبة في مواجهة الوجود الفرنسي العسكري الكثيف في هذه الولاية، ومن ضمن التدابير التي تم اعتمادها مما يلي:

1 ـ تفعيل دور المحافظين السياسيين على مستوى الدواوير والمداشر والأماكن الجبلية لإفشال الدعاية الفرنسية المعتمدة على الدور الخياني للجيوب العسكرية التابعة لها عبر الجماعات الثلاث المشار إليها آنفا، وذلك حتى لا تستأثر هذه الجماعات بالأماكن الجبلية والأماكن النائية، التي يحتاجها المجاهدون ويعتمدون عليها كقواعد

خلفية يف المعارك والكمائن التي ينصبونا للقوات الفرنسية ولأعوانهم الخونة.

2 ـ تكثيف النشاطات التنسيقية بين قيادة الولاية ومخالف قادة المناطق والنواحي والجهات، وتحريك العمل العسكري على مستوى الكتائب والفروع والأفواج، وتفعيل العمل الاستعلاماتي مع أحسن وأوثق العناصر التي تضمها الفئات السكانية المتواجدة بهذه المناطق النائية والمعزولة، وذلك للحاجة الكبيرة إليها لخلق صعوبات وقلاقل للقوات الفرنسية وعملائها.

3 ـ جعل هذه المناطق مناطق حيوية من الدرجة الأولى، وهو ما يعني إلزامية توفير كل الإمكانيات لجعلها فضاء مفتوحا ومطمئنا يتيح للمجاهدين حرية التحرك والتنقل وحتى الاشتباك وتنظيم الكمائن، مع وجود نسبة مرتفعة من الأمان القتالي من خلال ما يتم تحديده من خطوط الانسحاب والإفلات من المطاردة الفرنسية في حال الحصار والتطويق المباغت.

4 ـ العمل على إيجاد السبيل الذي يسمح بتحديد سلم المسؤوليات والمسئولين عليها، خاصة في المجالات الشاغرة، وتبدو الحاجة ماسة في هذا الصعيد إلى تواجد مستمر لمسئول التمويل ومسئول الاتصال والأخبار ومسئول محافظ سياسي، الذين تشترك مسؤولياتهم جميعا في التعاون على جمع التبرعات من المداشر والقرى والدواوير، والعمل بعد جمعها على إيصالها وتسليمها إلى مسئول الناحية.

الجماعات المسلحة التابعة للجنرال محمد بلونيس كانت تتمركز أساسا في ولاية عين الدفلة وجزءا معتبرا من ولاية المدية، وكان مقر العمليات لهذه الجماعات في منطقة زدين بعين الدفلى، وتحت هذا المقر تحت إمرة ضباط استخباراتيين فرنسيين تابعين لفيلق المظليين الثالث، وكان هناك تنسيق قوي بين جماعات الجنرال محمد بلونيس وتلك الجماعات الأخرى التابعة للجنرال كوبيس (الجيلالي بلحاج) والباشاغا بوعلام، وهذا التنسيق الفاعل الذي كانت تشرف عليه قيادات الفيلق الثالث للمظليين، كان يقسّم الأدوار وفق خطة عسكرية استراتيجية تعتمد المسح المتعامد ـ المتجانس للأراضي والمناطق التي تتحرك فيها كتائب وفرق وأفواج جيش التحرير الوطني.

هذه الخطة استثمرت في العمق الاجتماعي والشعبي لسكان الدواوير والمداشر التي تدخل في نطاق هذا المسح المدروس، لمنع مجاهدي جيش التحرير الوطني من دخوله وتنفيذ عمليات عسكرية نوعية ضد القوات الفرنسي وفيالقها الميدانية المنتشرة فيه، ولهذا كانت الخطة تقتضي بتكفل الجماعات المسلحة التابعة للجنرال محمد بلونيس والجنرال الجيلالي بلحاج بإجراء مسح دقيق متبادل ومتعامد متجانس لهذه المناطق.

هذه الإجراءات التقنية العسكرية تهدف إلى استنزاف الطاقات النفسية والتفكيرية لدى المجاهدين وتعمل على إفراغ طاقاتهم الحيوية في التعبئة والاستعداد للقتال من كل محتوى دينامي، وهو ما يؤدي في

حال استمرارها ضمن فضاء مسدود إلى حدوث انقسامات وشروخ على مستوى القيادة، مما يؤثر تأثيرا مباشرا على النشاط العسكري [8]، ويتيح الفرصة للمصالح الأمنية الفرنسية القيام بهدوء كبير بحملاتها النفسية لتعبئة السكان ضد هؤلاء المجاهدين بعد إظهارهم بكل نعوت الجبن والنذالة والخسة، وجعلهم يتشككون في أهداف الثورة وفي الأساليب التي تعتمدها، فإن لم يتحقق هذا الهدف سيتحقق هدف آخر دونه وهو بث النزاع في أوساط السكان فيتحولون إلى حرب داخلية عقيمة، شعب ضد شعب [9].

هذا الضغط النفسي والمعنوي سيؤدي بدوره إلى إفراغ طاقة التفاعل من قبل السكان مع النزعة القتالية للمجاهدين، حيث سيميلون نحو تحبيذ إنهاء الحرب وتحقيق السلم ولو باستمرار الفقر والجوع، واعتبار القتال خلق ذميم، وهكذا سيؤدي رفضهم للعمل المسلح ودوره القتالي، إلى فتور النزعة نحو المواجهة المسلحة، مما سيخدم القيادة الفرنسية بتكريس الأمر الواقع.

- المهام العسكرية الميدانية ومهام العملاء فيها:

تبدأ هذه العملية وفق مضمون الخطة بتمركز جماعات أحد الجنرالين انطلاقا في منطقة العمليات العسكرية للقوات الفرنسية من الجنوب في اتجاه الشمال، وكانت الجماعات الأخرى الموازية لها تقوم في نفس الوقت بالانطلاق من الشمال نحو الجنوب، حيث كانت نقطة

الانطلاق الجنوبية من مدينة آفلو، بما في ذلك مسح جزء هام من جبل العمور، وادي مرة، الأغواط، الجلفة، **عين** وسارة، وصولا إلى حدود بوغزول، ومنها تتجه نحو المدية وبالخصوص غابات وسفوح وزرة والتحرك أيضا باتجاه قرى عين الدفلة.

كانت النقطة الشمالية تنطلق وفق نفس الخريطة العملياتية، أي الانطلاق من المنطقة الغربية التي تتواجد فيها جماعات الباشاغا بوعلام والجنرال الجيلالي بلحاج والالتقاء ببوغزول والقيام بالتنسيق المباشر مع جيوب المدية وجيوب عين الدفلة، وصولا إلى غاية المنطقة العسكرية بآفلو، حيث كانت المدينة برمتها منطقة عسكرية فرنسية مغلقة، وهذا الغلق الاستراتيجي الذي تعمدته قيادة الفيلق الثالث بتوظيف هذا العدد الكبير من الجماعات المسلحة الخائنة، كان يستهدف منع كتائب جيش التحرير الوطني المتواجدة بجبال ناحية ثنية الحد وفي المناطق المحيطة بها وخاصة مناطق عمرونة والمدّاد ومطماطة وزمورة وجبال اللوح، من أن تتحول إلى قوة ضاربة تهدد النشاط والتواجد لجميع الجيوب المدنية والعسكرية وشبه العسكرية للقوات الفرنسية أو لهذه الجماعات المجندة معها والتي تنفذ خطط هذه القوات ضد السكان المدنيين [10].

أدركت قيادة مجاهدي جيش التحرير الوطني، أن هناك عملا استعلاماتيا كبيرا تقوم به القوات الفرنسية، من أجل تحويل قرى بكاملها إلى مناطق متعاونة ومتواطئة مع الجماعات المسلحة الخائنة،

وبالتالي منع المجاهدين من حيازة تعاطف شعبي وجماهيري، يسمح لهم عسكريا من التواجد في القرى والدواوير النائية من دون إن يتعرضوا للوشاية أو من الغدر من الداخل، وخاصة أن القيادة كانت تتوجس من وجود عناصر مستعدة للاختراق والاندماج في صفوف المجاهدين وضربهم من الداخل وفي العمق.

وعليه فقد كانت كل التحركات هنا تقف على ميزان دقيق من المعلومات ووقع الثقل على الجانبين على جهاز الاستعلامات حماية لأرواح المجاهدين والمسبلين وبقية العائلات التي تطعم وتأوي وتحمي وتنقل الرسائل والأخبار، وتوفر التغطية الأمنية اللازمة عند الدخول والخروج، ومن هنا تخوفت كثيرا قيادة الولاية الرابعة عندما تخطيطها لعملية دوار السيوف ـ تازة ترولار، من المرشد المدني الذي كلفته القيادة بتحديد خريطة التنقل والتمركز لمختلف الفرق والأفواج والكتائب.

لقد كان جزء من تخمينات القيادة العسكرية صحيحا، لكون أن هذا المرشد المدني أبعد الجماعة عن مكان المعركة المحدد بحوالي 100 متر كاملة، الأمر الذي سمح عند اندلاع المعركة لاحقا، بانسحاب الكثير من جماعات الجنرال محمد بلونيس وعلى رأسهم جميع قياداتها وعلى رأسهم المقدّم سليمان بوحمارة الذي كان على رأس جماعات مسلحة كبيرة في دوار السيوف ـ تازة ترولار في إطار الخطة العسكرية الإستراتيجية بإجراء مسوح متعامدة متجانسة، ما

سمح لقيادة الولاية الرابعة من تدبير هذه الخطة للدخول معهم في مواجهات عسكرية توقعهم في كمين.

بالتالي فهذا الخلل التقني حرم القيادة من إلقاء القبض أو قتل رؤوس الجماعات المسلحة الخائنة، التي كان الهدف الرئيسي من وراء التخطيط لهذه المعركة الحاسمة، خاصة وان القيادة العسكرية الفرنسية كانت قد وجهت هذه المجموعة الهامة من الجماعات المسلحة إلى هذه القرية ووفرت لهم جهازا كاملا من أحسن عناصرها المكلفة بالاستعلامات وضمان التغطية الحيوية إلكترونيا وجويا، بالإضافة إلى الدعم التقني الذي كانت تتوف عليه هذه الجماعات في مهمتها المسحية للمناطق الحيوية.

كانت حاجة المجاهدين أيضا ماسة وعلى درجة حيوية من الحسم العسكري، حتى تتيح لنفسها ضمان الأماكن الخلفية التي تحيط بمنطقة ثنية الحد، والسماح للعناصر التي تم تدريبها وتهيتها للعمل في إطار اللجنة الخاصة بالمحافظين السياسيين في هذه المناطق، من أجل التخفيف من حجم وضغط الدعاية الفرنسية عن طريق بث الجماعات المسلحة وإظهارها أمام جميع السكان بأنها لقوة العسكرية الوحيدة الممكنة [11]، وبالتالي الإقرار بأن الاحتلال العسكري حاسم وتقني ونهائي، ودفعهم للاقتناع بان المجاهدين مجرد فلاقة وقطاع طرق حتى يتعاونوا والقوات الفرنسية والجماعات الخائنة على قتلهم أو الوشاية بهم ومنعهم من التواجد أو التحرك في هذه المنطقة، وهو ما كانت

قيادة الولاية الرابعة في حرب ضد الساعة من اجل إنجازه قبل فوات الأوان.

كان الشهيد سي محمد (الجيلالي بونعامة) قائدا عسكريا ماهرا للمنطقة الثالثة من الولاية الرابعة، وكان الشهيد سي رشيد بوشوشي قائد منطقة ثنية الحد، وكان **سي** العربي قائد كتيبة بمنطقة ثنية الحدّ، وهذه القيادة العسكرية المحنكة عملت بتنسيق ومشورة كبيرة بعد وقوفها على تقرير السي العربي المشير بتواجد تحركات عسكرية كثيفة لجماعات الجنرال محمد بلونيس، على توفير كل الإمكانيات التي ستتطلبها معركة نوعية كمعركة دار السيوف ـ تازة ترولار، حيث ركّز الكثير على توفير إمكانيات الاختراق المعلوماتي للإيقاع بالعدو.

من هنا قام بتفعيل جهاز الاتصالات، الذي توصل إلى ربط خيوط ببعض العقداء من الجماعات المسلحة للجنرال الجيلالي بلحاج المدعو كوبيس وبعض مساعديه المباشرين، وذلك من أجل إقناعهم بترك العمل إلى جانبه، وأن الجبهة ترحّب بهم في حال قرروا العودة إلى صفوف الشعب الجزائري، وتم إعلامهم بجميع الشروط التي تفرضها الجبهة في حال وجود أطراف منهم تود الالتحاق بالجبهة ومن بنها على الخصوص الالتحاق بأسلحتهم ومتاعهم وجلب ما أمكن من معلومات عن طبيعة التموقعات الفرنسية العسكرية في الولاية الرابعة خاصة المنطقة الثانية والمنطقة الثالثة.

الهوامش

(1) - احسن بومالي: إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954 ـ 1956م/ منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص 389.

(2) - يتطرق ضابط جيش التحرير الوطني محمد الشريف ولد الحسين، بتقديم معطيات عسكرية وميدانية متنوعة عن هذه المعركة، وقد اعتمدنا على كثير من المعطيات التي أوردها في هذا الكتاب، واستخدمناها كمادة لتحليل الإطار العام الذي جرت فيه هذه المعركة، أنظر بهذا الخصوص:

ـ محمد الشريف ولد الحسين: من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال 1830ـ 1962، دار القصبة، الجزائر، 2010، ص ص 347 ـ 358.

(3) - Ferhat Abbas : Autopsie d'une guerre, Ed. Garnier , Paris , 1980, p.246.

(4) - يمكن الاطلاع على وجهة نظر محمد حربي في كتابه : تربيد الثورة الجزائرية "، والذي يبقي على كثير من أفكاره الواردة في كتبه الأخرى على نفس النسق والمنوال.

Mohammed Harbi, les Archives de la révolution algérienne, Ed. La découverte, Paris,1988 ; pp 189-194.

(5)- Horne Alistair , Histoire de la guerre d'Algérie, 4eme édition , Ed. Albin Michel, Paris, 1987.

(6)- Mohammed chérif Ould el Hocine : De la résistance à la guerre d'indépendance1830-1962 , Ed.Casbah, 2010.

(7)-Mohammed chérif Ould el Hocine, Eléments pour la mémoire afin que nul n'oublie , Ed. Casbah, 2009.

(8)-Duquesne Jacques, Pour comprendre la guerre d'Algérie , Perrin , Paris ,2001, p.145.

(9)-Pierre Montagnon, La Guerre d'Algérie , pygmalon, Paris, 1984, p.194.

(10) محمد الشريف ولد الحسين: في قلب المعركة ـ سرد وقائعي لمعارك كوموندو سي الزوبير وكتيبة الحمدانية، دار القصبة، الجزائر، 2007.

(11) مثل هذه الأساليب التي ذكرناها وغيرها تطرق لها بنماذج وأمثلة رمضان لاوند، حيث وقف على كثير من أساليب التعذيب والتنكيل والانتقام من السكان، وخاصة منها الأساليب النفسية الضاغطة، التي تتم بكثافة وتركيزين كبيرين تفقد الناس صواب أفكارهم، أنظر في هذا الإطار كتابه:

ـ رمضان لاوند: الغنغرينا وتعذيب الجزائريين في باريس، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1989.